مجلة العلوم
الاجتماعية والإنسانية

جامعة محمد بوضياف
بالمسيلة

الواقع والآثار في العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان الغربي خلال العهد الزياني 633-962هـ/1235-1554م

د. قريان عبد الجليل
جامعة 8 ماي 1945/ قالمة - الجزائر –

الملخص:

تمكنت تلمسان في العصر الوسيط الزياني من نسج علاقات تجارية مميزة مع السودان الغربي، مستفيدة من الموقع الجغرافي للمدينة التي كانت مركز التقاء لثلاثة اتجاهات أساسية في حركة التجارة الاقليمية شرقا وشمالا وجنوبا، ومستغلة الفراغ السياسي الذي تركته دولة الموحدين في توسيع حدودها السياسية والتجارية نحو سجلماسة، مدعمة في كل ذلك بتنوع إنتاجها المحلي والعابر في الوقوف بثبات في ترسيم الخارطة التجارية نحو السودان الغربي وأوروبا.

وكان للشركات التجارية التلمسانية دور فعال في التموقع في المراكز التجارية والربط بينها بواسطة وكلاء تجاريين ساهموا في تنشيط الحركة التجارية والتمكين لها وترسيخها في إطار التفاعل بينهم وبين الطبقة السياسية في كل من تلمسان والسودان الغربي مما كان له أثره المحمود في استمرارها لعقود، مستهدفة في ذلك مختلف السلع الأساسية التي كانت تتدفق بينها بأريحية.

ولم تقتصر آثار الحركة التجارية نحو السودان الغربي على الجانب الاقتصادي فحسب بل تجاوزت ذلك إلى التأسيس لشبكة من العلاقات السياسية والثقافية والحضارية بين ضفتي الصحراء حيث كانت بين الدولة الزيانية والسودان الغربي وفادات ومراسلات، كما ساهم علماؤها(تلمسان) وغيرهم في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية،

وكانت لذلك آثارها الطيبة على المستوى السياسي والشعبي إذ أصبحت تعج بالعلماء والفقهاء والقضاة، وبَقِيَتْ على ذلك إلى عصرنا.

الكلمات المفتاحية: القوافل التجارية - السودان الغربي- النشاط الاقتصادي- المراكز التجارية- الابعاد السياسية والحضارية.

Summary: Tlemcen has established special relationships with southern Sudan in the medieval era. Taking benefit from the geographical location of the city that was the central node of three basic directions in the territorial commercial movement from east, north and south, and taking advantage from the political vacuum left by the state of muwahidin by enlarging its political and commercial frontiers towards Seldjelmassa, supported by the diversity of its local and transitory production, to stand firm for drawing the commercial map towards southern Sudan and Europe.

The Tlemceni commercial companies had a significant role, by their position in the commercial centers, relying between them through commercial agents who participated for the revitalization of the commercial movement, its establishment and its empowerment, through interaction between them and the political class in both Tlemcen and southern Sudan, the strong effect that allowed them to last for decades, targeting the diversity of essential goods that flowed in ease.

The commercial movement impacts were not limited towards southern Sudan in the economical side only, but it surpassed it by establishing a network of political, cultural, and civilizational relationships between the two sides of the desert, there were communications and hospitality between Ziani state and southern Sudan, Tlemcen and its scholars had also contributed to spread Islam and Islamic culture, the fact that made its beneficial effects at the political and popular level,

so that it has become crowded with Islamic scholars and judges, and stayed in this state until our age.

Key words: commercial convoys - southern Sudan - economic activity - commercial centers -political and civilizational dimensions.

1- مقدمة:

كثير من الدراسات نأت بنفسها عن البحث في العلاقات التي تربط تاريخ المنطقة المغاربية ببلدان جنوب الصحراء، أو ما يعرف بالسودان الغربي، نظرا لصعوبة الحصول على المعلومة التاريخية التي توفر السند العلمي في أي بحث تاريخي[1]، وما تم من بحوث متعلقة بالمغرب الإسلامي يتحدث باقتضاب شديد عن العلاقات التجارية بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي(افريقيا السوداء) لندرة التعاملات السياسية بينها، بحكم الفاصل الطبيعي الكبير، وصعوبة التواصل[2]، وكل ذلك كان وراء هذه الندرة للمادة التاريخية.

وولوج هذا الموضوع يُعَدُّ في حد ذاته مغامرة يحتاج سالكها إلى جرأة كبيرة، وجهد مُضْنٍ للخروج منه ببعض النتائج، تماما كصعوبة العبور في الصحراء الكبرى. ومن ثم فإن أي جهد بحثي يبذل في هذا الاتجاه سوف يُسهم في فتح نافذة إضافية لرصد العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها، ويكشف عن المعالم الأساسية والعوامل التي كانت وراء هذا التواصل، والوقوف من جانب آخر على العقبات التي حجَّمت من هذا التواصل في العصر الوسيط المتأخر.

أما إشكالية البحث فتتمحور حول سؤال مركزي عن حقيقة العلاقات التجارية وحجمها بين تلمسان والسودان الغربي، وما هي الوسائط التي ساهمت في ترسيمها، وإلى أي مدى كانت آثارها على المستويات السياسية والحضارية؟

في هذه الورقة نحاول إزاحة الستار عن نافذة العلاقات التجارية بين تلمسان كعاصمة للدولة الزيانية، وبين السودان الغربي من خلال ما توفره بعض النصوص المنشورة هنا وهناك في مختلف المصادر، من أجل الحصول على أجزاء من الصورة التاريخية التي كانت قائمة بين ضفتي الصحراء، وكيف ساهمت في تنويع العلاقات السياسية والثقافية.

2- الطريق إلى السودان الغربي:

- نقصد بالسودان الغربي ذلك **الفضاء الجغرافي والسكاني الزنجي** الذي يقع جنوب الصحراء الكبرى، والممتد شرقا من بحيرة تشاد، مرورا با**لنيجر إلى المحيط الأطلسي**، ويضم كل من **الجزء الغربي للنيجر**، ثم **مالي فموريتانيا والسنغال**[3]، باعتبار أن **بلاد السودان**

تقع جغرافيا جنوب الصحراء الكبرى، وتشمل من الشرق إلى الغرب كلا من: **السودان الحالي**(مع اريتيريا) غرب البحر الأحمر، **وتشاد، والنيجر، ومالي، وموريتانيا، والسينغال على المحيط الأطلسي** في خط موازي للصحراء التي تفصل بينه وبين الشريط الساحلي للبحر المتوسط[4].

لقد مكنت القوافل التجارية بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من اختراق مفازة الصحراء التي كانت تشكل عائقا طبيعيا بين المنطقتين، نظرا لشساعة مساحتها، ومخاطرها[5]، من حيث ندرة المياه التي لا توجد إلا بعد فاصل زمني يقدر من يومين إلى أربعة عشر يوما[6]، ويكون ذلك بعد قطع القوافل مسافة تزيد عن مائة أو مائتي ميل، مع ملوحته، وشدة الحرارة، وكل ذلك قد يؤدي إلى فقد الحياة؛ وقد وصف الحسن الوزان الصحراء التي تسير بها قوافل تلمسان بأنها أكثر "وعورة ووحشة، يمر بها التجار الذاهبون من تلمسان إلى تمبكتو ويقطعونها من أبعد طرفي قطرها، فتؤدي صعوبة المرور إلى موت العديد من الناس والدواب، لفقدان الماء"[7].

ومن مخاطر الصحراء كذلك العواصف الرملية التي تُذهب معالم الطرق في المفاوز الشاسعة[8]، والوحوش والحيات، والغارات، وحتى الضرائب والإتاوات الكبيرة التي كانت تفرض على القوافل[9]، واتساع المسافة، حيث قدرت المسافة المستقيمة بين تلمسان وتمبكتو بأكثر من ألفي كيلومتر.

ورغم هذه الصعوبات المضنية والمكلفة ماديا ومعنويا وربما حياتيا فقد تجاوزتها هذه القوافل[10]، وساهمت بشكل كبير في التبادل التجاري بين المنطقتين، وفي تنمية هذا النشاط إلى البلدان الأوروبية، كما ساهمت هذه القوافل التجارية من جهة أخرى في نقل عوامل الحمل الحضاري، والتي لم تستطع جيوش الفتح الوصول إليها وتحقيقه بحكم العوائق الطبيعية.

3- عوامل التحكم في الجانب التجاري لتلمسان:

ثمة مجموعة من العوامل التي ساهمت بشكل لافت في تدعيم دور تلمسان كقطب تجاري لا غنى عنه، منها:

أ- الموقع الجيو سياسي لتلمسان:

جمعت تلمسان بين الصحراء والبر والبحر، ووقوعها جغرافيا في موضع يسمح لها بأن تكون منطقة وسيطة بين الصحراء وبلاد السودان من جهة الجنوب، وبين المشرق

العربي من جهة الشرق، وكذلك أوروبا وألميريا بالأندلس من جهة الشمال، في ملتقى ثلاثة اتجاهات أساسية كانت تسيطر في القرن السابع والثامن الهجريين على الموارد التجارية.

ومن الناحية السياسية وفي بداية القرن السابع الهجري/ ق13 م تعرض الغرب الإسلامي بقيادة الموحدين إلى هزيمة العقاب سنة 609هـ/ 1212م التي كانت منعطفا حاسما في حياة الأندلس وقاصمة لظهرها[11]، إذ تقهقرت الدولة الموحدية وانقسمت ثم تساقطت مدنها تترى في يد النصارى[12]، وهاجر أهلها إلى العدوة المغربية، وإلى المدن الإسلامية المختلفة، وكان لذلك أثره في التحول الدراماتيكي في علاقة المغرب بالأندلس.

وكانت تلمسان وإقليمها من أهم المدن المغاربية التي استقطبت وفودا وهجرات واسعة من الأندلسيين الذين يعتبرونها شبيهة بمدن الأندلس لمياهها وبساتينها وكثرة صنائعها[13]؛ وقد وفد إليها إلى جانب طبقة العامة كثيرا من العلماء والفنيين والمزارعين، وكثيرا من التجار وذوي رؤوس الأموال، الذين ساهموا في تنمية النشاط الاقتصادي التلمساني والمغاربي، فتغيرت ملامحه[14] "فمصروا أقاليمه، ونوعوا بها الغراس، فكثرت مستنزهاتها، وامتد بسيط نباتها"[15]، و"أصبحت هذه الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية"[16]. وكان "التأثير الأندلسي بارزا في كل الصناعات التي تتعلق بالبناء وزخرفة الدور والقصور، والتأثيث واللباس، وأنواع الزينة والحلي"[17]، واستفادت تلمسان استفادة جمة من الفنيين الأندلسيين وفي مختلف الصناعات[18].

ولا شك أن طبقة التجار وذوي رؤوس الأموال الأندلسيين قد ساهموا في توسيع حركة التجارة في الداخل، إلى جانب مشاركتها في التجارة إلى بلاد السودان الغربي.

ب- النشاط الاقتصادي لتلمسان:

تميزت تلمسان ومحيطها في هذين القرنين بنشاط تجاري مكثف، وربما كانت من أكبر الأسواق في المغرب الإسلامي نظرا لما كانت عليه من وفرة الانتاج المحلي لمختلف السلع الزراعية[19]، والحيوانية، والصناعية[20]، ولحركية الاستيراد والتصدير "فهي كثيرة الخصب والزرع، كثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب والأندلس[21] لرخصها وطيب لحومها"[22]. وتواترت النصوص بأنها كانت تتميز عن غيرها "برخص أسعارها، ونفاق أشغالها، ومرابح تجارتها"[23].

وكان بها فئة التجار الكبار، والقوافل التجارية التي تنتقل باستمرار بين مناطق الانتاج ومناطق الاستهلاك في الحواضر المغربية، والموانئ الساحلية، والأسواق البعيدة، نحو أوروبا في الشمال[24]، أو نحو السودان الغربي جنوبا[25].

وكانت كل الطرق التجارية الأوروبية تمر عبر تلمسان نحو الصحراء والسودان الغربي، وذلك ما وفر لتلمسان أموالا طائلة من خلال الرسوم التي تفرض على حركة البضائع دخولا وخروجا[26]، فضلا عن تجارتها الخاصة. وقد اشتهر تجار تلمسان بالإنصاف والإخلاص والأمانة[27]، مما ساهم في رواج تجارتهم، ووفود التجار إليها، والتعامل الآمن معها.

وربما كان من الضروري التدليل على ضخامة حجم التجارة الخارجية لتلمسان من خلال ما شاهده الحسن الوزان وعاينه بنفسه عندما كان مرافقا لأحد كتاب ملك تلمسان "جاء لاستلام ضرائب من سفينة **جنوية**، حملت من البضائع ما يموّن تلمسان لمدة خمس سنوات، وبلغت قيمة الرسوم التي قبضها الملك خمسة عشر ألف مثقال[28] ذهبا مسكوكا"[29]. إن هذه المبالغ الكبيرة تمثل حصيلة صفقة واحدة مع سفينة خاصة، ولنا أن نقدر حجم التجارة مع باقي السفن والمدن الأوروبية؛ كما يمكننا أن نقدر الحجم الكبير لمردود التجارة مع افريقيا جنوب الصحراء، خاصة إذا علمنا أن أهم الأسفار التجارية التي يقوم بها التجار التلمسانيون هي تلك التي يتجهون بها إلى السودان الغربي حسب ما أكده الحسن الوزان[30].

جـ- الاستقرار السياسي:

إذا ما استثنينا بعض التقلبات الأمنية مع الجارتين الشرقية والغربية، وما أصاب عاصمة الدولة الزيانية تلمسان من ذلك الحصار المريني الذي استمر لمائة شهر في نهاية القرن السابع الهجري/ق13م[31]، وما أصابها من احتلال من قبل الدولة المرينية وسلطانها أبي الحسن المريني من سنة 737هـ/1336م إلى 760هـ/1358م[32]، كانت الدولة الزيانية وعاصمتها تلمسان تعيش نسبيا وعلى العموم حياة مستقرة وآمنة، وخاصة بعد اعتلاء سلطانها أبي حمو الثاني سدة الحكم سنة 760هـ/1358م .

إن هذه الفترة شكلت الفترة الكبيرة والحافلة في حياة الدولة الزيانية في القرنين السابع والثامن الهجريين، وكانت تلمسان من الحواضر الأساسية في بلاد الغرب الإسلامي؛ وقد حفزت هذه الظروف المستقرة تدفقا مميزا للتجار وسهولة في التعامل التجاري؛ حيث

كانت الدولة الزيانية تمسك بالخيوط السياسية والتجارية، فقد كانت القوافل تسير من تلمسان إلى السودان الغربي مستفيدة مما قامت به الدولة من التحكم والسيطرة على سجلماسة في فترة ليست بالقصيرة [33]، ومن إقامة علاقات ودية مع سلاطين كانو، وبورنو، وسنغاي، ومالي، وتبادل الهدايا والرسائل معهم، كما ارتبط هلال القطلاني حاجب أبي تاشفين الأول بالصداقة مع منسا موسى سلطان مالي[34] (كانت ولايته منذ 712هـ/ 1312م، وتوفي 738هـ/1337م)، عندما التقى به في موسم الحج[35] سنة 724هـ[36]. وكانت العلاقات متصلة عبر الطرق الصحراوية.

4- المسالك والمراكز التجارية:

هناك طريقان رئيسيان رصدهما الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق، وبقيتا تشكلان أهم الطرق الواصلة بالسودان الغربي. **الطريق الأول** قال عنه:" وأما من أراد الطريق إلى تلمسان من مدينة سجلماسة فالقوافل تسير من **تلمسان** إلى **فاس** إلى **صفروي** إلى **تادلة**[37]، إلى **أغمات**[38] إلى **بني درعة** إلى **سجلماسة"**[39] .

والطريق الثاني نادر السلوك، لأنه يمر عبر مفازة الصحراء، وطريقه من " **تلمسان** إلى **قرية تارو** مرحلة، ومنها إلى **جبل تامديت** مرحلة ومنها إلى **غايات** وهي قرية خراب مرحلة، وبها بئر ماء، ومنها إلى **صدرات** مرحلة، ...ومنها إلى **جبل تبوي** مدينة خراب وبها عين ماء،...إلى **فتات** بئر في وسط الصحراء مرحلة ومنها إلى **شعب الصفا** مرحلتان، ومنه **إلى تندلي** وهي قرية عامرة مرحلة ومنها إلى **قرية تمسنان** مرحلة ، ومنها إلى **تفريت** مرحلة ومنه إلى **سجلماسة** ثلاث مراحل ، وهذا الطريق قليل سالكوه"[40].

ومن سجلماسة تتوجه القوافل نحو **بوابة مالي** واحة **ولاتة (إيوالاتن)**[41]**، ثم إلى تمبكتو** أو إلى **أودغشت في موريتانيا** . وكذا إلى **منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر.**

والحقيقة أن هذا الطريق الأخير قد انتعش في القرن السابع الهجري/13م وأصبح **يدعى "طريق الذهب"**[42] بعد أن استولى عرب المعقل (المنبات) على سجلماسة[43]، وأعلنوا تبعيتهم إلى السلطان الزياني يغمراسن بن زيان[44]، وكانت سجلماسة في معظم النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ 13 م تابعة سياسيا للزيانيين[45]، وفي هذه الأثناء كانت تلمسان تستثمر **ميناء هنين** في ربط تجارتها مع الأوروبيين.

وكان يغمراسن يبعث أحد أبنائه كل سنة إلى سجلماسة لجمع الخراج[46]؛ ولا يبعد أن تكون القوافل التجارية مزدهرة إلى سجلماسة ثم بلاد السودان الغربي نحو مدينة **تنبكتو** و**أودغشت**[47].

والجدير بالملاحظة أن الموسم المناسب لسفر القوافل المتوجهة إلى بلاد السودان عبر الصحراء هو فصل الخريف، تفاديا للزوابع الرملية، والحرارة المفرطة، وذلك لانخفاض درجة الحرارة فيه، وتجنب الهلاك من العطش[48].

وفي النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ق14م وبعد أن تراجع دور طريق سجلماسة التي كانت أوضاعها الأمنية غير مريحة، صار إقليم **توات** الذي يقع شرقيي سجلماسة ومنطقته الشرقية **تمنطيط** مركز عبور بالغ الأهمية للتجار القادمين من المغرب وبالخصوص من تلمسان والمتوجهين إلى مالي من السودان الغربي أو العكس، حيث كان يقوم بتوفير الحماية الآمنة للقوافل التجارية عبر هذا الخط عن طريق الاستيجار، بحيث أصبح من الطرق الأساسية الآمنة للتجار، أو قل الطريق الأساس للتجارة البينينة بين المغرب وبلاد السودان[49]. وكان له دور كبير في ازدهار التجارة والقوافل التجارية نحو بلاد السودان[50]. نظرا لما تمتعت به المنطقة من الاستقلال الذاتي عن السيادة المرينية حيث كان لقبائل المعقل حضور قوي وتنظيم خاص لم يفلح المرينيون في لجمه واحتوائه.

ولابد من الإشارة إلى وجود خطوط تجارية كانت تربط الجهات الشرقية للدولة الزيانية بالسودان الغربي، وقد برهنت هذه الخطوط على حيويتها وفعاليتها التجارية، حيث شكلت منطقة **وادي مزاب**[51] **وورگلة**[52] مركزين أساسين للتجارة بين مدن الجزائر وبجاية، وقسنطينة وحتى تونس، لتجتمع القوافل كلها بعد ذلك في **تيكورارين**[53] وتتوجه نحو بلاد السودان، ولا شك أن هذين الخطين يؤكدان الحضور الإباضي في تجارة الذهب[54]، وفي ترسيم المنطقة كفاعل أساسي في النشاط التجاري بين ضفتي الصحراء.

وقد لعبت المراكز التجارية، التي امتدت على طول وأطراف المحاور التجارية العابرة للصحراء، أدوارا مختلفة في العلاقات التجارية التي جمعت بين المغرب وبلاد السودان، كأسواق تجارية استقطبت تجار شمال الصحراء وجنوبها، وأبرمت فيها صفقات تجارية مهمة، وكمحطات سمحت للقوافل التجارية بالتوقف من أجل الاستراحة، والخضوع لتنظيم معين استعدادا لعبور الصحراء، ولأنها كانت بمثابة همزة وصل بإمكان القوافل التجارية أن تتزود فيها بالمؤن والمواد التجارية المختلفة وتعمل على إعادة توزيعها

وترويجها، كما شكلت سوقا استهلاكية للمواد التي يصدرها السودان الغربي، ومن بين هذه المراكز: سجلماسة، وولاتة، واودغشت، وتمبكتو.

ومن أهم مظاهر تطور المراكز التجارية توفرها على **وكلاء تجاريين** في مختلف المدن والمراكز التي تمر بها القوافل التجارية، بدءا من تمبكتو إلى تلمسان عبر سجلماسة، إذ يقومون بالإشراف على تجاراتهم في مختلف هذه المراكز، حيث كانوا يقيمون بها طوال أيام السنة، نظرا للنشاط المكثف لتجارة البضائع، واستمرار تدفقها بين تلمسان والسودان الغربي.

وفي هذا الإطار، **وفي نص نادر للمقري الجد (ت 759هـ/** 1357م) الذي كتبه في سياق حديثه عن مذكراته الشخصية، ومن خطه نقله ابن الخطيب في كتابه الإحاطة عند التعريف به، حيث **تعرض المقري الجد للحديث عن أجداده ومن خلال وثائق مكتوبة كانت بحوزته في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/14م**، وقد وصف النشاط التجاري لأجداده المقَّريين في القرن السابع الهجري/13م واستمر إلى منتصف الثامن الهجري/14م، وأكد وجود شركة تجارية للمقَّرِيّين مكونة من خمسة إخوة موزعين بين **تلمسان** و**سجلماسة** و **ولاتة**.

يقول المقري الجد:" ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار، واتخذوا طبلا للرحيل، وراية تقدم عند المسير، وكان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال، **فعقدوا الشركة بينهم** في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال، فكان **أبو بكر ومحمد** - وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي وأبي- **بتلمسان، وعبد الرحمن** وهو شقيقهما الأكبر **بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي** وهما شقيقاهم الصغيران **بإيوالاتن(ولاتة)،** فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار، وتزوجوا النساء واستولدوا الإماء. و**كان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج** والجوز والتبر، **والسجلماسي** كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان[55]، ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان، حتى اتسعت أموالهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم..."[56].

إن هذا النشاط التجاري المكثف خاص بشركة واحدة من شركات مدينة تلمسان، ولنا أن نتصور بقية الشركات التجارية التي كانت تنشط في مختلف التجارات، لندرك حجم التبادلات التجارية بين تلمسان وجنوب السودان.

لقد كانت التجارة رائجة وثرية بين تلمسان وبلاد السودان الغربي عبر سجلماسة[57]، وشكلت ثراء منقطع النظير لمجموعة من الشركات التي كانت تنشط في هذا الخط[58]، وقد فسر ابن خلدون المعاصر لهذا النشاط التجاري أسباب ثراء التجار الذين يتاجرون في بلاد السودان وأرجعه إلى الندرة كسبب رئيس بقوله: "ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعد طريقهم ومشقته، واعتراض المفاوز الصعبة المخطرة بالخوف والعطش ... فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلاء، وكذلك سلعنا لديهم، فتعظم بضائع التجار من تناقلها، ويسرع إليهم الغنى والثروة من أجل ذلك... وأما المترددون في أفق واحد ما بين أمصاره وبلدانه ففائدتهم قليلة، وأرباحهم تافهة، لكثرة السلع وكثرة ناقليها"[59].

5- أنواع السلع والبضائع البينية:

ثمة صعوبة في الحصول على تقديرات دقيقة لأنواع البضائع وحجم المبادلات التجارية فيها، في غياب نصوص تاريخية واضحة، غير أننا نمتلك صورة واضحة حول الأرباح الهائلة للنشاط التجاري بين السودان وتلمسان في هذين القرنين.

ونظرا لتوفر تلمسان على نشاط اقتصادي متنوع محلي ومجلوب أو عابر، فإن السلع التي كانت تصدر إلى بلاد السودان من تلمسان من خلال بعض مصادر الرحلة والمصادر الجغرافية تمثلت بالخصوص في **الملح** أولا[60] حيث كان أهم مادة تستهلك من قبل بلاد السودان لانعدامه بها[61]، وكان سعره في القرن الثامن الهجري/ق14م مرتفعا فقد ذكر ابن بطوطة بأن"الحمل منه يباع **بايولاتن** بعشرة مثاقيل إلى ثمانية، وبمدينة **مالي** بثلاثين مثقالا إلى عشرين، وربما انتهى إلى أربعين مثقالا"[62]، بينما في القرن التاسع الهجري/15م صار سعر الحمل منه في مدينة تمبكتو ثمانين مثقالا[63]؛ كما كان السودان يتصارفون بالملح كما يتصارفون بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويتبايعون به[64].

ومن المواد المصدرة إلى بلاد السودان الغربي نجد كذلك **الخزر**[65] و**النحاس الأحمر** والملون المصنوع[66]، **وصنوف النظم من الزجاج**[67] **والأصداف والأحجار الكريمة والعطر وآلات الحديد المصنوع**[68] **والتمور**[69]، **ومختلف أنواع الحبوب والفواكه**[70].

أما ما كانت **تلمسان مختصة به ورائدة فيه على باقي الحواضر المغاربية**[71] **مع أحوازها مثل هنين**[72] **وندرومة**[73] **فهي المنسوجات الصوفية،** حيث تربعت تلمسان على

عرش النسيج في العصر المغاربي الوسيط، وتلك خصيصة من خصائص النشاط الاقتصادي التلمساني الذي ترسخ عبر عقود ماضية، فقد تحدث يحي بن خلدون عن ذلك بقوله:" إن غالب تكسبهم (أهل تلمسان) الفلاحة وحوك الصوف، يتغايون في عمل أثوابه الرقاق، ...بذلك عرفوا في القديم والحديث، ومن لدنهم يُجلب إلى الأمصار شرقا وغربا"[74].

وبلغت منسوجات تلمسان شهرة واسعة ملأت آفاق المشرق والمغرب على السواء، لجودتها ونفاسة صناعتها، واختصاصها بالصوف الرفيع[75]. وكانت صناعتها رائجة ومواردها كبيرة[76]، حيث كانت القوافل ترد عليها من مختلف المدن لشراء أجود منسوجاتها الصوفية الرفيعة [77]. وقد بلغت "قدرا من الدقة حتى أن بعضها لا تزن عشرة أواق[78]"[79]. وكانت مطلب الملوك والأمراء، فقد ذكر ابن فضل الله العمري (ت 749هـ/1348م) أن غالب لبس سلطان مملكة تونس ولبس أكابر مشايخه من قماش عندهم "يسمى السفساري، يعمل عندهم من حرير وقطن، أو حرير وصوف، إمل أبيض أو أحمر أو أخضر،وقماش يعرف بالحريري وهو صوف رفيع جدا، وقماش يعرف بالتلمساني مما يعمل بتلمسان، وهو نوعان: مختم وغير مختم، منها صوف خالص، ومنها صوف وحرير"[80].

ومنهم كذلك السلطان أبو الحسن المريني الذي "كان يؤتى بثياب الصوف التلمسانية الخالصة، فيتخير أجودها ويعطيه لمجالسيه"[81]. **وقد أكد ابن مرزوق الخطيب (الجد) ذلك بقوله:" وملوك إفريقية والمغرب إنما يلبسون حينئذ ما كان يعمل بتلمسان من رفيع الصوف فإنها اختصت به"[82]**.

وفي هذا الإطار نؤكد كمثال على ذلك أن أسرة واحدة وهي أسرة **عبد الله بن النجار** (جد جدة ابن مرزوق الخطيب لأبيه فاطمة بنت أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن **عبد الله بن النجار**) كان يمتلك معامل ضخمة لحياكة الصوف الرفيعة بتلمسان، وكانت ترده التجار من كل بلاد إفريقيا والسودان الغربي، بعد أن طور الصناعات النسيجية ونماها، وقد أثرى بذلك ثراء كبيرا حتى كان يتملك دروبا له ولأبنائه ولعماله وخدمه[83].

كما كانت تجارة الخيول البربرية رغم صعوبتها تجد هي الأخرى نوعا من الاهتمام من قبل الحكام بالخصوص للاستخدامات الملوكية والعسكرية[84].

وما ذكره الإدريسي في القرن السادس الهجري/ق10م من تنوع المواد المصدرة[85] بقي ينقل في القرن السابع الهجري وبداية القرن الثامن الهجري وخاصة البخور

والأصداف والأسورة النحاسية وكميات كبيرة من التمر[86]، **وهو ما يؤكد ثبات أنواع السلع في عملية التجارة بين الشمال والجنوب، ويعكس استمرار الاستهلاك لهذا النوع من المنتوج المغاربي**.

وذكر أبو الفداء في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي أن التجار المغاربة يحملون إلى بلاد السودان **التين، والملح، والنحاس، والودع**[87]. وأشار ابن بطوطة إلى بعض المواد التي كانت تجلب من قبل المغاربة وتجد رواجا كبيرا في بلاد السودان الغربي بقوله:" والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا، ولا إداما، ولا دينارا، ولا درهما، إنما يحمل قطع الملح، **وحلي الزجاج الذي يسميه الناس النظم، وبعض السلع العطرية**. وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل، والمصطكى، وتاسرغينت"[88] .

أما البضائع التي تستورد من بلاد السودان إلى تلمسان فيأتي على رأسها وفي الدرجة الأولى "**التبر**" الذي أصبحت تعرف به فيقال:" **بلاد التبر"**[89]، أو **الذهب**[90]، "وهي أكبر غلَّة عند السودان، وعليها يعولون صغيرهم وكبيرهم"[91]. وكان يجلب "في شكل مسحوق، أو سبائك من داخل القارة السمراء"[92]. وقد أشار مؤلف تلمساني مجهول إلى وفرة الذهب ببلاد السودان وله معدنان خالصان "بحيث لا يحتاجان سوى درهمين من الورق عند التذويب لكل دينار"[93]، ويؤكد أنه لا يحتاج إلا نارا قليلة للتذويب، وأن أفضله التبر الأحمر الموجود في الأبيار عند وفور مياهها، ومنه من ينحط من جبل في وقت السيل فيجتمع عند حد السيل في ذلك الجبل مثل خنادق وشعوب، وحله يحفره قوم هناك من السودان[94]. ويبدو أن هذا الذهب يوجد في شكله الخام. وكان بيعه في تلمسان وبلاد المغرب بأسعار باهضة تجلب فوائد ضخمة محليا ولتجار أوروبا. كما يستخدم في الاستهلاك المحلي في صناعة الحلي، وضرب النقود.

كما نشطت تجارة العبيد بشكل لافت، وكانت أسعارها كأسعار التبر زهيدة مما شجع القوافل على تحمل مشاق السفر[95]. وكان العبيد السود يشكلون غالبية مادتها، يستخدمون في مختلف الأشغال العسكرية والمدنية ومن مختلف الطبقات الاجتماعية، وقد قال ابن خلدون -وهو شاهد العصر- في ذلك:" وفي جنوب هذا النيل - يعني نهر النيجر- قوم من السود يقال لهم **لَمْلَم** وهم كفار، ويكتوون في وجوههم وأصداغهم، وأهل غانة وتكرور يغيرون عليهم، ويسبونهم، ويبيعونهم للتجار، فيجلبونهم إلى المغرب، وكلهم عامة رقيقهم "[96].

كما تجلب وبدرجات أقل مواد اخرى مثل الجلد، والعاج، والجوز[97]، والمسك، إضافة إلى الشب، وريش النعام، وناب الفيل[98].

6- التذبذب التجاري:

منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/14م بدأت التجارة بين تلمسان وبلاد السودان الغربي في التراجع الكبير، نظرا للظروف الأمنية التي كانت في المغرب الإسلامي، فمنذ اعتلاء أبي حمو موسى الثاني عرش الزيانيين سنة 760هـ/ ونظرا لشخصيته القوية ونفسه الطموحة كانت الدولة الزيانية في عهده تحت ضغط مضاعف من قبل الدولتين المجاورتين الحفصية شرقا والمرينية غربا، وساهمت كل منهما في تحجيم التجارة الزيانية كنوع من أنواع الحرب غير المعلنة، ولقد توجت بمقتل أبي حمو الثاني على يدي ابنه أبي تاشفين سنة 791هـ/بدعم مكشوف من قبل المرينيين وأصبح تابعا لهم[99]، واستمرت التبعية لهم إلى العقد الثاني من القرن التاسع الهجري/15م[100]، لتتحول بعد ذلك إلى التبعية للحفصيين قرابة ستين سنة بدءا من سنة 827هـ/1423 [101].

كما عزا **المقري الجد** تقلص هذا النشاط إلى عاملين أساسيين: **الأول**: حدوث الاضطرابات السياسية في مالي[102]؛ **والثاني**: دخول التجارة المصرية بقوة وخاصة النسيجية إلى مالي، وبروز بعد ذلك صناعة نسيجية في مالي نفسها[103].

إن هذه المنافسة القوية شكلت خطرا اقتصاديا كبيرا على تجارة المنسوجات التلمسانية، وكانت سببا في تقلصها؛ وتشير بعض المصادر إلى أن الإسكندرية في نهاية القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي كانت تحتوي على أربعة عشر ألف مصنع للنسيج[104]. ورغم ذلك تمكنت تلمسان من الحفاظ على بقايا هذه الصناعة عبر القرون اللاحقة إذ بقيت بها معامل النسيج طوال الفترة العثمانية وإلى الغزو الفرنسي للجزائر[105]. كما بقيت بعض النشاطات التجارية متواصلة بين تلمسان وبلاد السودان، وسجل بعضها ابن خلدون عندما قال:" وقبلة تلمسان وعلى عشر مراحل منها قصور تيكوراربن ...وفيهم التجار إلى بلاد السودان"[106].

7- الجانب الحضاري للتبادلات التجارية:

يجوز لنا أن نؤكد بأن القوافل التجارية العابرة للصحراء كانت من أهم الوسائل التي ساهمت بشكل أساسي في نشر الإسلام في السودان الغربي[107] الذي تقبل الإسلام طوعا[108]، حيث كان منطلقها تلمسان نحو ما وراء الصحراء، وكانت تضمّ بين أفرادها ثلة

من العلماء والفقهاء والدعاة[109] الذين كان لبعضهم دور كبير في إسلام ملوكها[110]، وفي نقل معالم الحضارة الإسلامية إلى إفريقيا الوسطى والغربية. وهكذا كانت القوافل تنقل إلى جانب السلع والمواد التجارية المختلفة الثقافة والعادات والتقاليد الإسلامية لتنشرها في أوساط السكان.

وتشير المصادر إلى أن بلاد تكرور(ويقال لها كذلك سقاي) المصاقبة لبلاد غانة دخلها الإسلام وانتشر بها قبل القرن الخامس الهجري/11م، وتمكن الإسلام فيها بعد أن أسلم ملكها وارجابي بن رابيس(ت 432هـ/1040م)[111] الذي ساهم في إسلام أهلها.

أما بلاد غانة فإنه كان بها جالية كبيرة من المسلمين الوافدين والمقيمين، وأصبح لهم حضور ونفوذ قوي، قال البكري:"ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثني عشر مسجدا أحدها يجمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون، وفيها فقهاء وحملة العلم"[112]، ويوجد في "مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك"[113]، وبها مدارس للعلم[114].

وكان ملكها مؤثرا للمسلمين حيث جعل منهم تراجمته، وصاحب بيت ماله، وأكثر وزرائه[115]. ووصفها الإدريسي في القرن السادس الهجري/2م بأنها أكبر بلاد السودان قطرا، وأكثرها خلقا، وأوسعها متجرا، وإليها يقصد التجار المياسير، من كل الأقطار وخاصة المغرب الأقصى، وأهلها مسلمون[116] ؛ كما كان ثمة مسلمون في بلاد أخرى مثل يرسني، وملل[117] ، وكوغة [118]، وغيرها. وتدعم الوجود الإسلامي في ربوعها في عهد المرابطين[119]. وفي القرن السابع الهجري/13م كان الإسلام منتشرا بها بشكل واسع[120].

غير أن مُلْك بلاد غانة تقهقر وتغلب عليهم أهل مملكة صوصو، واستعبدوهم، وصيروهم في جملتهم[121]، ثم تغلب أهل مالي على أهل صوصو، وملكوا ما بأيديهم[122]، وافتتحوا دولة كَوْكَو، وصارت حدود دولة مالي من غانة غربا إلى بلاد التكرور شرقا، وكانت هي الدولة المهيمنة على السودان الغربي في القرن الثامن الهجري/14م [123].

وقد استوطن الكثير منهم هذه البلاد، ولفترات طويلة وصارت بها أجيال متعاقبة. ومن الإشارات البالغة الأهمية في ذلك ما ذكره ابن فضل الله العمري (ت 749هـ/1348م)بأن الشيخ أبا عثمان سعيد الدكالي سكن **مدينة بيتي** خمسا وثلاثين سنة[124]، وكانت بينهما صداقة علمية استفاد منها ابن فضل الله العمري في كتابة بعض

المسائل التاريخية والجغرافية المتعلقة بالسودان الغربي[125]. كما ذكر ابن خلدون بأنه كتب الكثير عن السودان الغربي اعتمادا على ما أخبره به القاضي الثقة أبو عبد الله محمد بن وانسول من أهل سجلماسة عندما التقى به سنة 776هـ/1374م ، وكان هذا القاضي قد استوطن أرض كوكو وحسنت سيرته واستعملوه في خطة القضاء[126].

ولا شك أن هذا الحضور المستمر كانت له نتائجه الكبيرة على المستوى الثقافي والحضاري، ومن الإشارات على ذلك ما تحدث به ابن بطوطة (ت779هـ/1377م) عندما زار السودان الغربي عن وجود ثلة من العلماء والفقهاء والقضاة، وكانت له عليهم ملاحظات؛ ولكنه أشار إلى أن شعوبهم صارت حريصة على أداء الصلاة في المساجد، والحرص الشديد على تعليم أبنائهم القرآن الكريم[127]، وغيرها من المزايا التي تؤكد النشاط الدعوي للعلماء والفقهاء[128] في هذه المناطق الصحراوية.

ويُعَدُّ القرن الثامن الهجري/ق14م من أزهى القرون انتعاشا للثقافة الإسلامية في السودان الغربي ذلك أن سلطان مالي قام بإرسال بعثات علمية إلى بلاد المغرب ليتِمَّ تكوينهم، ويكونوا سندا للحركة الثقافية الإسلامية في بلده، وكان مع ولي عهده يتقنون اللغة العربية[129]، وساهما في أن تكون لغة رسمية لبلاده[130].

ويبدو أن أثر الدعاة المالكية في السودان الغربي كان كبيرا حتى أن السلطان **منسا موسى بن أبي بكر** في رحلة حجه كان يلتقي بكبار فقهاء المالكية في مصر مثل الفقيه والمؤرخ أبي الروح عيسى بن مسعود الزواوي المالكي(ت 744هـ/ 1343م)[131] الذي انتهت إليه رياسة المالكية في الديار المصرية والشامية[132]، حيث اجتمع به وتحدث إليه في مسائل بلاده[133]. وفي عهد أخيه السلطان منسا سليمان بن أبي بكر- الذي صار أعظم ملوك السودان وأوسعهم أرضا وأكثرهم عسكرا[134] - انتشرت في بلاد السودان المساجد والجوامع والمنارات، وأقيمت الجُمَعُ والجماعات والآذان، وجلب سليمان إلى بلاده الفقهاء على مذهب الإمام مالك، وتفقه في الدين[135]، متأثرا بالدعاة المغاربة[136].

وربما كان من اللازم الإشارة إلى الجهود الدعوية لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية التي كان يقوم بها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني[137] في السودان الغربي، حيث كانت له علاقات مميزة ومؤثرة مع شعوب المنطقة وبعض ملوكها، حيث ألف لبعضهم كتبا تختص بالسياسة الشرعية[138]، وأخرى تختص بالإجابة على أسئلة مطروحة تهم قضايا اجتماعية وأسرية وعلمية وسياسية[139].

وكان له تأثير كبير في النخب العلمية والسياسية بالسودان الغربي حيث صارت تمبكتو في القرن التاسع الهجري/15م مركزا من المراكز الإسلامية المتميزة بحركية علمية فريدة[140]، إذ كان بها "عدد كبير من القضاة والفقهاء، والأئمة، يدفع الملك إليهم جميعا مرتبا حسنا، ويعظم الأدباء كثيرا، وتباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر، وتدر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع"[141].

كما شكلت فتواه المتعلقة باليهود بمنطقة توات وتطاولهم على الإسلام والمسلمين[142] مبررا كافيا ومقنعا لكي يصبح ملك تمبكتو من ألد أعداء اليهود "لا يريد أن يقطن أحد منهم المدينة، وإذا علم أن تاجرا من بلاد البربر يخالطهم أو يتجر معهم صادر أمواله "[143].

ولابد من الإشارة بأنه أصبح للسودان الغربي في القرن التاسع والعاشر الهجريين/15-16م فقهاؤه وقضاته المحليون الأصلاء[144] الذين كانوا نتاج الجهود الكبيرة والمحمودة عبر القرنين السالفين. وقد عقد السعدي في كتابه تاريخ السودان الفصل التاسع والعاشر لجمهرة من العلماء والفقهاء والقضاة الذين تزينت بهم السودان في محافلها العلمية والتربوية والدعوية[145]، وصاروا من الدارسين لبعض المؤلفات التلسمانية، كشرح العقيدة الصغرى للإمام محمد بن يوسف السنوسي[146]، والمعيار المعرب للإمام الونشريسي[147]، وغيرها.

8- نتائج:

تمكنت تلمسان من تأسيس فضاء تجاري متميز بين ضفتي الصحراء، مستغلة في ذلك موقعها الاستراتيجي وحاجة المنطقة المغاربية والمتوسطية إليها كمركز إنتاج وعبور لأهم المنتوجات منها وإلى السودان الغربي، حيث صارت ممرا لطريق الذهب. وقد استغلت هذه الميزة في تنويع نشاطاتها الاقتصادية والسياسية والثقافية طوال الفترة الزيانية، رغم ما كان ينتابها من ظروف سياسية محبطة واقليمية متردية.

كما استطاعت تلمسان أن تتفاعل مع المجال الجغرافي السوداني الغربي رغم صعوبة الوصول إليه، وكانت تستهدف مضطرة تنويع التجارة وإيجاد منافذ إضافية للاقتصاد وتوفير مناطق أكثر أمنا وبضائع نفيسة لقوافلها التجارية، في ظل التنافس والعداء بين تلمسان وجارتيها الشرقية والغربية، إضافة إلى التنافس الاقتصادي بين

المغرب والمشرق الإسلاميين، وكان الجانب الحضاري يسير مع القوافل ضمن الحمولة الثقافية التي ساهمت في نقل الإسلام إلى هذه المناطق البعيدة.

ومن النتائج المركزية التي تأكدت لدينا أن العلاقة العامة بين بلاد الغرب الإسلامي والسودان الغربي كانت تتحكم فيها إلى حد بعيد العلاقات التجارية، ومن خلالها نسجت العلاقات السياسية والثقافية، وعندما تراجعت العلاقات التجارية، تأثرت بذلك العلاقات السياسية والثقافية. فهل تكون التجارة سبيلا في عصرنا لعلاقات متنوعة ووطيدة مع إفريقيا؟

المصادر والمراجع:

المخطوطات:

-مجهول: رسالة في تصفية المعادن، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 11053.

المصادر والمراجع المطبوعة:

-الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2002م.

-برنشفيك روبير: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1408هـ/ 1988م.

-ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1417هـ/1997م.

-بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه في التاريخ، بقسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية 1426-1427هـ/ 2005-2006م.

-التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1409هـ/ 1989م.

-التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل: نظم الدر والعقيان، في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1405هـ/ 1985م.ص 130.

-حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء، رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، قسم أصول الدين، فرع دعوة وإعلام، جامعة الحاج الأخضر باتنة، 1431-1432هـ/ 2010-2011م.

-ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1414هـ/ 1993م.

-حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م.

-حسن حافظي علوي: سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/14م، مطبعة فضالة، المحمدية، المملكة المغربية، 1418ھ/ 1997م.

-الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1403ھ/1983م.

-حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1407ھ/1987م.

-حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مركب الطباعة، الرغاية، الجزائر، 1402ھ/ 1982م.

-الحميري: الروض الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2 1400ھ/1980م.

-ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1411ھ/1992.

-ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الجانجي القاهرة، ط1، 1394ھ/ 1974م.

: أعمال الأعمال، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424ھ/2003م.

-ابن خلدون عبد الرحمن: العبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421ھ/2001م. ج6، ص 269.

-ابن خلدون يحيى أبو زكرياء: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400ھ/ 1980م.

-الدرجيني أحمد بن سعيد: كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، 1394ھ / 1974م.

-ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1972.

-زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1401ھ/1981م.

-زنيبر محمد: دراسات في الحضارة اللامية وثقافة الغرب الإسلامي، مطبعة الأمنية، بالرباط، ط1، 1431ھ/2010م.

-السعدي عبد الرحمن: تاريخ السودان، مكتبة أمريكا والشرق، باريس،1401هـ/ 1981م.
-سعيدان عمر: علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن 8هـ/ 14م، ثالة، الأبيار، الجزائر، 1432هـ/2011 م.
-ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 1389هـ/ 1970م.
-السلاوي الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م.
-ابن سماك العاملي: الحلل الموشية في الاخبار المراكشية، تحقيق بوباية عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط1، 1431هـ/ 2010م.
-السيوطي عبد الرحمن: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1387هـ/ 1967م.
-الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، ط1، 1418هـ/ 1998م.
-الطمار: تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1404هـ/1984م، ص 129.
-ابن عذارى المراكشي: البيان قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ/ 1985م.
-العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 1421هـ/ 2000م.
-ابن فضل الله العمري مسالك الممالك، تحقيق كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/ 2010م.
-فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002هـ.
-القزويني زكرياء بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م.
-القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/1922م، ج5، ص 273.

-مجهول: كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد بلا تا.

-محمد حسن: التجار والحرفيون بإفريقية في بين القرنين السادس والتاسع الهجري/12-15 م، ضمن كتاب"المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تنسيق الهادي التيمومي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1420هـ/ 1999م.

-محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، نشر جمعية التراث (القرارة غرداية) ط2، ص1419هـ/ 1999م.

-محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ط2، 1428هـ/2008م.

-ابن مرزوق الخطيب: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيقيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1401هـ/1981م.

: المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، االدار البيضاء، ط1، 1429هـ/ 2008م.

-مرمول كربخال: افريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 1408هـ/1988م.

-ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المليتي: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1406هـ/1986م.

-المقري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408هـ/1989م.

-المقريزي: ثلاث رسائل، النقود الإسلامية، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1298هـ

-الميلي امبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، بلا تا.

- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/ 1977م.

-Ch.E.Dufourcq Une route de l’or au moyen age de l’Afrique noire, Magorque par Sigilmassa et Tlemcen, Bulletin d’information historique, Faculté des lettres d’Alge

الهوامش:

[1] شح المادة التاريخية بالنسبة للسودان الغربي عانى منه المؤرخون السابقون عندما تعرضوا لتاريخ المنطقة، فلم يكن بين ايديهم مصادر مكتوبة يستلهمونها في تدوين تاريخها، مثل ابن خلدون وابن فضل الله العمري؛ الذين اعتمدا على الرواية الشفهية في غياب المؤلفات، انظر، ابن خلدون: العبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ج6، ص 269. ابن فضل الله العمري: المسالك والممالك، تحقيق كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/ 2010م، ج4، ص 61. وانظر كذلك، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/1922م، ج5، ص 273.

[2] من الدراسات التي أشارت باقتضاب إلى ذلك، نذكر منها، مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م. فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002هـ. بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه في التاريخ ، بقسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية 1426-1427هـ/ 2005-2006م. بينما لم يتعرض برنشفيك إلى المبادلات التجارية بين الحفصيين وبلاد السودان الغربي إلا في إشارة مقتضبة جدا، انظر كتابه، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1408هـ/ 1988م ج2، ص244.

[3] انظر، بودواية: م.س، ص 35. انظر كذلك، حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1407هـ/1987م، ص 366، خريطة رقم 174.

[4] انظر عن حدود بلاد السودان، القلقشندي: م.س، ج5، ص 273.

[5] الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1403هـ/1983م، ج2، ص 153.

[6] الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2002م ، ج1، ص 18، 107. وجاء في ص 107:"ومنها مجابة نيسر التي ذكرنا أنها أربعة عشر يوما لا ماء بها ولا يوجد له أثر فيها، وهي مشهورة بذلك ".

[7] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 150.

[8] الإدريسي: م.س، ج1، ص 18.

[9] الحسن الوزان: م.س، ج1، ص 60. وعلى سبيل المثال كان الأعراب يفرضون على القوافل ربع مثقال عن كل جمل، انظر، الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، ص 122، 129.

[10] انظر عن مصاعب العبور في الصحراء، الإدريسي: م.س، ص17، 18، 107، 108. زكرياء بن محمد

القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م، ص 19. الحميري: الروض الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2 1400هـ/1980م، ص 146، 621-622. والنص الذي يورده الحسن الوزان يعطي صورة أوضح عن مخاطر الطريق الصحراوية، انظر، وصف افريقيا، ج2، ص 148-149، 153.

[11] ابن عذارى المراكشي: البيان قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ/ 1985م، ص 263. ابن الخطيب: أعمال الأعمال، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ج2، ص 239. ابن سماك العاملي: الحلل الموشية في الاخبار المراكشية، تحقيق بوباية عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط1، 1431هـ/ 2010م، ص 242، 244.. المقري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408هـ/1989م، ج5، 285.

[12] متتالية سقوط المدن الأندلسية كما يلي: جزيرة ميورقة سنة 627هـ/ 1230- قرطبة سنة 633هـ/1236م- بلنسية سنة 636هـ/1238م- دانية سنة 641هـ/ 1243م - جيان

سنة 643هـ/1245م - شاطبة سنة 644هـ /1246م - إشبيلية سنة 646هـ/ 1248م- مرسية سنة 664هـ/ 1265م - جزيرة منورقة سنة 686هـ/1287م.

[13] ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 1389هـ/ 1970م، ص 140.

[14] انظر نص المقري في نفح الطيب، ج 4، ص 4- 5.

[15] القلقشندي: م.س، ج5، ص 102.

[16] محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ط2، 1428هـ/2008م، ص 75. انظر كذلك، عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 1421هـ/ 2000م، ج2، ص 220-29.

[17] زنيبر محمد: دراسات في الحضارة اللامية وثقافة الغرب الإسلامي، مطبعة الامنية، بالرباط، ط1، 1431هـ/2010م ص 327. انظر كذلك، زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ص 121.

[18] سعيدان عمر: علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن 8هـ/ 14م، ثالة، الأبيار، الجزائر، 1432هـ/2011 م، ص 68. الطمار: تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1404هـ/1984م، ص 129.

[19] الادريسي: م.س، ج1، ص 248. زراعة الحبوب كانت كثيفة في تلمسان ومحيطها ولكننا نخص بالذكر الفواكه التي كان إنتاجها يثير الدهشة فهذا الحسن الوزان يزور مناطق تلمسان ويتحدث بإعجاب عن صنوف الفواكه وكثرتها، انظر كتابه وصف إفريقيا، ج2، ص15-16. انظر كذلك، امبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص 483.

[20] ابن سعيد: م.س، ص 140.

[21]

[22] مجهول: كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد بلا تا، ص 179، وكذلك ص 176 يقول فيها:" كثيرة الخصب رخيصة الاسعار كثيرة الخيرات والنعم".

[23] الشريف الإدريسي: م.س، ج1، ص 248. الحميري: م.س، ص 135. انظر كذلك، القلقشندي: م.س، ج5، ص 150.

[24] كانت مدينة مشهورة بإنتاج القمح حيث كان يصدر في المراكب للسواحل الاندلسية وغيرها، انظر، ابن سعيد: م.س، ص142.

لقد كان ميناء هنين من الموانئ الاساسية للتجارة الخارجية المربحة جدا بين تلمسان وأوروبا، انظر عن حركة السفن الشراعية التجارية القادمة من البندقية إلى تلمسان في، الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 15.

[25] الميلي: م.س، ج2، ص 483. فيلالي عبد العزيز: م.س، ص 213. بودواية: م.س، ص 273.

[26] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 23.

[27] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 21.

[28] المثقال كان وزنه معادلا لوزن 72 حبة قمح متوسطة الحجم، انظر المقريزي في كتابه، ثلاث رسائل، النقود الاسلامية، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1298هـ، ص 8، حيث يورد بأن عشرة دراهم موافقة لسبعة مثاقيل وان كل درهم يحوي خمسين حبة وخمس فيكون عشرة دراهم مقابلة ل 505 حبة إذا قسمناها على سبعة مثاقيل يكون لكل مثقال 72 حبة.

[29] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 16. مع العلم ان التجارة مع جنوة والبندقية كانت اساسية في تلمسان حتى ان كان بتلمسان فنادق خاصة بتجار جنوة، انظر، المصدر نفسه، ج2، ص 20.

[30] وصف افريقيا، ج2، ص 21.

[31] انظر عن هذا الحصار الذي بدأ في شعبان سنة 698هـ/ واستمر لمائة شهر، ابن خلدون: العبر، وديوان المبتدإ والخبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م، العبر، ج7، ص 126-127. التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل: نظم الدر والعقيان، في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1405هـ/ 1985م.ص 130.

[32] انظر، يحيى بن خلدون: بغية الرواد: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/ 1980م، ج1، ص219. ابن خلدون: العبر، ج7، ص 147-148.

[33] ابن خلدون: م.س، ج7، ص 114. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1972، ص، 297.

[34] انظر عن أخبار هذا السلطان، ابن خلدون: م.س، ج6، ص 267. القلقشندي: م.س، ج5، ص 294.

[35] بودواية: م.س، ص 321.

[36] ابن فضل الله العمري: م.س، ج 27، ص 345. ابن خلدون: م.س، ج5، ص 496. وج6، ص 267.

[37] من بلاد المغرب، انظر، الحميري: م.س، ص 127.

[38] أغمات بأرض المغرب وهي مدينتان، أغمات وريكة وأغمات هيلانة، انظر، الحميري، م.س، ص46.

[39] الإدريسي: م.س، ج1، ص 249. انظر كذلك عن الاتجاه العام لهذا الطريق، مجهول: كتاب الاستبصار، ص 176.

[40] الإدريسي: م.س، ج1، ص 249.

[41] وقد كانت مدينة ولاتة شعلة من العلم، زارها واستقر بها عدد من الفقهاء والعلماء بغية التدريس. عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، مكتبة أمريكا والشرق، باريس،1401هـ/ 1981م.

[42] Ch.E.Dufourcq Une route de l'or au moyen age de l'Afrique noire, Magorque par Sigilmassa et Tlemcen, Bulletin d'information historique, Faculté des lettres d'Alger' N° 3 Janvier , 1966 , p : 19.

[43] ابن خلدون: م.س، ج7، ص 114. العروي: م.س، ج2، ص 224-225.

[44] ابن خلدون: م.س، ج7، ص 114. ابن ابي زرع: م.س، ص 297.

[45] ابن أبي زرع: م.س، ص 312. حسن حافظي علوي: سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/14م، مطبعة فضالة، المحمدية، المملكة المغربية، 1418هـ/ 1997م، ص 201.

[46] ابن ابي زرع: م.س، ص 312. حسن حافظي علوي: م.س. ص 368.

[47] كانت أودغشت مركزا تجاريا كبيرا، يفد إليه التجار من مختلف الجنسيات، انظر، الحميري: م.س، ص 64.

[48] الإدريسي: م.س، ص 107، 108.

[49] ابن خلدون: م.س، ج7، ص 76-77.

[50] نفسه ج7، ص 77.

[51] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 134-135.

[52] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 136.

[53] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 133. انظر كذلك، مرمول كربخال: افريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 1408هـ/1988م، ج3، ص 166.

[54] يقول الإدريسي بأن أهل وركلة وأهل المغرب الأقصى هم أكثر الناس شراء للتبر من السودان، انظر، الإدريسي: م.س، ج1، ص 24. كما يؤكد أن الفواكه الرطبة لا تأتي إلى بلاد السودان إلا عن طريق وركلة، انظر المصدر نفسه، ج1، ص 20. وانظر كذلك، الحميري: م.س، ص 611، عندما تحدث عن مدينة **ونقارة**.

[55] كانت سجلماسة فعلا مدينة يمكن اعتبارها مركز عبور أساسية للتجارة الدولية بين بلاد المغرب الإسلامي من جهة وبلاد السودان الغربي أو إفريقيا جنوب الصحراء من جهة ثانية، انظر، ابن فضل الله العمري: م.س، ج4، ص 107.

[56] انظر النص في، ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الجانجي القاهرة، ط1، 1394هـ/ 1974م، ج2، ص 192. المقري: م.س، ج5، 203، 204، 205.

[57] ذكر ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد السودان في منتصف القرن الثامن الهجري/14م بوجود تجار من تلمسان في القافلة، منهم التاجر الحاج الزياني الذي كان يمارس في طريق الرحلة أنواعا من اللعب بالحيات، انظر، رحلة ابن بطوطة، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1417هـ/1997م، ج4، ص 242.

[58] محمد حسن: التجار والحرفيون بإفريقية في بين القرنين السادس والتاسع الهجري/12-15 م، ضمن كتاب"المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تنسيق الهادي التيمومي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1420هـ/ 1999م، ص 66.

[59] ابن خلدون: المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيرون، لبنان، 1421ه/ 2001م، الفصل الثاني عشر "في نقل التاجر للسلع"، ص497.

[60] الإدريسي: م.س، ج1، ص 17، 18.

[61] ابن فضل الله العمري: م.س، ج4، ص60.

[62] ابن بطوطة: ج4، ص 240.

[63] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 166.

[64] ابن بطوطة: م.س، ج4، ص 240.

[65] الإدريسي: م.س، ص 18. الحميري: م.س، ص 134.

[66] الإدريسي: م.س، ص 18. الحميري: م.س، ص، 46، 71. القلقشندي: م.س، ج5، ص 286. الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 117.

[67] القزويني: م.س، ص 19. الحميري، م.س، ص46.

[68] الإدريسي: م.س، ص 42، 232. الحميري، م.س، ص46.

[69] الإدريسي: م. س، ص 20.

[70] ابن خلدون: المقدمة، ص 70 قال:" وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان".

[71] ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيقيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1401ه/1981م ص 129. ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، االدار البيضاء، ط1، 1429ه/ 2008م، ص 192.

[72] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 15.

[73] نفسه، ج2، ص 14.

[74] يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص90، 92. انظر كذلك عن شهرة مدينة **هنين** بالمنسوجات واختصاصها فيه، الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 15.

[75] ابن مرزوق: المناقب، ص 188. ابن مرزوق: المسند، ص 129. ابن سعيد المغربي: م.س، ص 140.

[76] ابن مرزوق: المناقب، ص 188- 189.

[77] ابن مرزوق: المناقب، ص 190.

[78] الأوقية = 21 درهما. الرطل= 16 أوقية= 21x16= 336 درهم، انظر، القلقشندي: م.س، ج5، ص 114.

[79] مرمول: م.س، ج2، ص300.

[80] ابن فضل الله العمري: م.س، ج4، ص 77. وانظر النص نفسه نقله عنه القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، ج5، ص 142.

[81] ابن مرزوق: المسند، ص 129.

[82] ابن مرزوق: المناقب، ص 189.

[83] ابن مرزوق: المناقب، ص 188-189.

[84] ابن فضل الله العمري: م.س، ج4، ص 53.

[85] الإدريسي: ج2، ص 529.

[86] الإدريسي: م.س، ص 20. انظر كذلك، الحميري: م.س، ص 63، 64.

[87] أبو الفداء: تاريخ أبي الفداء. القلقشندي: م.س، ج5، ص 282.

[88] ابن بطوطة: م.س، 193.

[89] انظر، القزويني: م.س، ص 18.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397ه/ 1977م، ج2، ص 12. ابن الخطيب لسان الدين: الاحاطة، ج2، ص 192. المقري: م.س، ج5، 203، 204، 205.

[90] ذكر البكري ان ذهب اودغشت اجود ذهب على الارض، انظر المسالك والممالك، ج2، ص 344. والنص نفسه في الاستبصار لمجهول ص 216. الحميري: الروض، ص 63..

[91] الإدرسي: م.س، ج1، ص 25. انظر كذلك عن الذهب كأهم سلعة تجلب من السودان الغربي، ابن فضل الله العمري: م.س، ج 23، ص 63. الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 126

[92] برنشفيك: م.س، ج2، ص 271.

[93] مؤلف مجهول: رسالة في تصفية المعادن، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 11053، ورقة (284 ظ).

[94] نفسه.

[95] الإدريسي: م.س، ص 109-110. الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 126.

[96] ابن خلدون: المقدمة، ص 69-70. يبدو أن هذا النص قد نقله ابن خلدون عن الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق، ص 19. وانظر كذلك ص 22.

[97] ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة، ج2، ص 192. المقري: م.س، ج5، 203، 204، 205.

[98] بودواية: م.س، ص 297، 332.

[99] ابن خلدون: العبر، ج7، ص 174.

[100] الزركشي: تاريخ الدولتين، ص 251-252.

[101] التنسي: نظم الدر والعقيان، ص 243.

[102] ابن الخطيب: م.س، ج2، ص 193-194.

[103] حسن حافظي: م.س، ص390.

[104] حسن حافظي: م.س، ص 390.

[105] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مركب الطباعة، الرغاية، الجزائر، 1402هـ/ 982م، ص 95.

[106] ابن خلدون: العبر، ج7، ص 77.

[107] السلاوي: م.س، ج5، ص99-100. محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، نشر جمعية التراث (القرارة غرداية) ط2، ص1419هـ/ 1999م ص 264.

[108] السلاوي: م.س، ج5، ص 103. نقلا عن كتاب أحمد بابا التنبكتي "معراج الصعود".

[109] مارمول: م.س، ج3، ص 195-196.

[110] ابن سعيد: م.س، ص 95.

[111] البكري: م.س، ج2، ص 360.

[112] البكري: م.س، ج2، ص 363. انظر كذلك، ابن خلدون: العبر، ج6، ص 266. القلقشندي: م.س، ج5، ص284. الحميري: م.س، ص426.

[113] البكري: م.س، ج2، ص 363. الحمري: م.س، ص 426.

[114] السلاوي: م.س، ج5، ص 100.

[115] البكري: م.س، ج2، ص 363.

[116] ج1، ص23.

117 نفسه 366.

118 نفسه 367.

119 السلاوي: م.س، ج5، ص 100.

ملاحظة: ذكر أحمد بن سعيد الدرجيني أن أحد علماء الإباضية واسمه **علي بن يخلف** سافر إلى **غانة** وانتهى إلى مدينة مالي والتقى بملكها الذي كان مشركا وبقي عنده، وكانت نتيجة تأثره به أن أسلم ملكها، وأسلمت المدينة كلها، انظر، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، 1394هـ / 1974م، ج2، ص 517- 518.

120 ابن سعيد: م.س، ص 93.

ملاحظة: ذكر ابن خلدون في العبر ج1، ص 104 أن بلاد السودان إنما دانت بالإسلام في المائة السابعة، وهو ما لايتفق مع المصادر التي أكدت أن الإسلام دخل البلاد منذ القرن الخامس الهجري/11م على أقل تقدير.

121 ابن خلدون: العبر، ج6، ص 266. السلاوي: م.س، ج5، ص 100.

122 ابن خلدون: العبر، ج6، ص 266. السلاوي: م.س، ج5، ص 100.

123 ابن خلدون: العبر، ج1، ص 70. ج6، ص 266-267. السلاوي: م.س، ج5، ص 100.

124 ابن فضل الله العمري: م.س، ج4، ص 49.

125 مسالك الابصار، ج4، ص 49، 52. وجل ما كتبه القلقشندي عن السودان نقله عن مسالك الأمصار للعمري، انظر، صبح الأعشى، ج5، ابتداء من ص 286.

126 ابن خلدون: العبر، ج6، ص 269.

127 ابن بطوطة: م.س، ج 4، ص 245، 247، 255، 265.

128 من الفقهاء من كان مقيما بالسودان الغربي، ومن خلال معلوماته حول المنطقة استقى كثير من المؤرخين بعضا من تاريخها وجغرافيتها، ومنهم القزويني الذي ينقل عن بعض الفقهاء المغاربة، انظر كتابه آثار البلاد، ص 42، 57، 58.

129 مرمول: م.س، ج3، ص 201.

130 القلقشندي: م.س، ج5، ص 298. بودواية: م.س، ص 188.

131 شرف الدين عيسى الزواوي المالكي (664- 744هـ/ 1265- 1343م) انظر ترجمته في، ابن فرحون: الديباج المذهب، ج2، ص 72. ابن فضل الله العمري (معاصره وصديقه):

م.س، ج6، ص145-147. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، ط1، 1418هـ/ 1998م ج3، ص727. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج3، ص 210. السيوطي عبد الرحمن: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1387هـ/ 1967م، ج1، ص 459-460.

[132] ابن فرحون: م.س، ج2، ص 73.

[133] ابن فضل الله العمري: م.س، ج4، ص 59-60. ابن خلدون: العبر، ج6، ص 267.

[134] ابن فضل الله العمري: م.س، ج4، ص 49.

[135] ابن فضل الله العمري: م.س، ج4، ص 49. القلقشندي: م.س، ج5، ص 297.

[136] القلقشندي: م.س، ج5، ص 281.

ملاحظة: هناك بعض الأثر الذي تركه الإباضيون في السودان الغربي نظرا لحضور تجارة شبه مستقلة من وركلة وبلاد مزاب وغيرها من مدن الإباضية مثل فزان وجبل نفوسة وغدامس وسدراتة، انظر، محمد صالح ناصر: منهج الدعوة، ص 269-273.

[137] انظر ترجمته في، أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1409هـ/ 1989م ص 576. ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المليتي: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1406هـ/1986م، ص 253.

[138] "رسالة المغيلي لأمير كانو في شؤون الإمارة"، و"رسالة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام"وهي وصية المغيلي إلى أمير كانو أبو عبيد الله محمد بن يعقوب رنقا. و" أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"وكلها في السياسة الشرعية، انظر عنها في، حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء، رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، قسم أصول الدين، فرع دعوة وإعلام، جامعة الحاج الأخضر باتنة، 1431-1432هـ/ 210-2011م، ص 74-77.

[139] التنبكتي: م.س، ص 576. حاج أحمد نور الدين: م.س، ص 50.

[140] السعدي: م.س، ص 21.

[141] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 167. مرمول: م.س، ج3، ص 203، ويبدو انه ينقل عن الوزان.

[142] عن فتوى المغيلي المتعلقة باليهود، انظر، التنبكتي: م.س، ص576. ابن مريم: م.س، ص 253.

[143] الحسن الوزان: م.س، ج2، ص 167.

[144] السعدي: م.س، ص 19، 20.

[145] ص 27- 56.

[146] السعدي: م.س، ص 43. انظر كذلك، البرتلي محمد بن ابي بكر الصديق الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، 1401هـ/1981م، ص 32، 35.

[147] نفسه 46. البرتلي: م.س، ص 32.